الفصل التاسع

نزول القرآن على سبعة أحرف والقراءات المشهورة

تمهيد

لما خلق الله الخلق، جعل لكل منهم شرعة ومنهاجاً، وكان للعرب لهجات متعددة، اكتسبوها من فطرتهم، واقتبسوا بعضها من جيرانهم، وكانت لغة (قريش) لها الصدارة والذيوع لأسباب عدة منها: اشتغالهم بالتجارة ووجودهم عند بيت الله الحرام وقيامهم على السدانة والرفادة، وكان القرشيون يقتبسون بعض اللهجات والكلمات التي تعجبهم من غيرهم، وكان من الطبيعي، أن ينزل الله احكم الحاكمين القرآن، باللغة التي يفهمها العرب أجمع لتيسير فهمها وللاعجاز والتحدي لأرباب الفصاحة بالاتيان بسورة او بآية وتيسير قراءته وفهمه وحفظه لهم، لأنه نزل بلغتهم كما قال جلّ ثناؤه:

﴿إنّا أنزلناهُ قُرآناً عربيّاً لعلكم تعقلون﴾[1].

أدلة نزول القرآن على سبعة أحرف:

أولاً: روى البخاري ومسلم في صحيحها عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٢.

قال رسول الله ﷺ : « اقرأني جبريلُ على حرف فراجعته فلم أزل استزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة أحرف »[1] زاد مسلم: (قال ابن شهاب: بلغني ان تلك السبعة في الأمر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال ولا حرام).

ثانياً: روى البخاري ومسلم ـ واللفظ للبخاري ـ ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال (سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره في الصلاة فانتظرته حتى سلم ثم لببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة؟ قال: اقرأنيها رسول الله ﷺ قلت له: كذبت، فوالله إن رسول الله ﷺ أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرؤها، فانطلقت اقوده الى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله اني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها وأنت أقرأتني سورة الفرقان فقال رسول الله ﷺ، أرسله يا عمر، اقرأ يا هشام، فقرأ هذه القراءة التي سمعته يقرؤها قال رسول الله ﷺ: هكذا أنزلت، ثم قال: « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه ».

وفي بعض الروايات ان رسول الله استمع إلى قراءة عمر أيضاً وقال: هكذا انزلت.

ثالثاً: روى مسلم بسنده عن أبي بن كعب قال: (كنت في المسجد، فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر، فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ، فقلت: إن هذا قرأ قراءة انكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه فأمرهما رسول الله ﷺ فقرآ، فحسن النبي ﷺ شأنهما، فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية، فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشيني ضرب في صدري، ففضت عرقاً، وكأنما انظر الى الله

---

(١) صحيح البخاري، ج ٣، ص ٢٢٧ وصحيح مسلم، ج ١، ص ٥٦١ بسندهما عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة

عز وجل فرقاً فقال لي: يا أبي، أرسل إلي ان اقرأ القرآن على حرف فرددت إليه: أن هوّن على أمتي، فرد الي الثانية اقرأه على حرفين، فرددت إليه: أن هون على أمتي، فردّ إلي الثالثة: اقرأه على سبعة أحرف، ولك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها فقلت: اللهم اغفر لامتي واخرت الثالثة ليوم يرغب إلي الخلق، كلهم حتى ابراهيم ﷺ» أهـ.

قال القرطبي: فكان هذا الخاطر (يشير إلى ما سقط في نفس أبي) من قبيل ما قال فيه النبي ﷺ حين سألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به. قال: أو قد وجدتموه؟ قالوا: نعم. قال ذلك صريح الإيمان» رواه مسلم.

رابعاً: روى الحافظ أبو يعلي في مسنده الكبير أن عثمان رضي الله عنه قال يوماً وهو على المنبر: «أذكر الله رجلاً سمع النبي ﷺ قال: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف» لما قام. فقاموا حتى لم يحصوا، فشهدوا أن الرسول ﷺ قال (أنزل القرآن على سبعة حروف كلها شاف كاف). فقال عثمان رضي الله عنه: (وأنا أشهد معهم).

خامساً: روى مسلم بسنده عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ كان عند أضاة[1] بني غفار قال: (فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف. فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم أتاه الثانية فقال: ان الله يأمرك ان تقرا أمتك القرآن على حرفين. فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف. فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم جاءه الرابعة فقال إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف. فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا) أ.هـ.

سادساً: روى الترمذي عن أبي بن كعب أيضاً قال: لقي رسول الله ﷺ جبريل

---

(١) أضاءة بني غفار: مستنقع الماء كالغدير. وهو موضع بالمدينة نسب إلى بني غفار لأنهم نزلوا عنده.

عند أحجار المروة. قال: فقال رسول الله ﷺ لجبريل: إني بعثت إلى أمة أميين، فيهم الشيخ الفاني، والعجوز الكبير، والغلام، قال: «فمرهم فليقرؤوا القرآن على سبعة أحرف» قال الترمذي: حسن صحيح.

وفي لفظ: (فمن قرأ بحرف منها فهو كما قرأ).

وفي لفظ حذيفة: «فقلت يا جبريل إني أرسلت إلى أمة أمية فيهم الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ الفاني الذي لم يقرأ كتاباً قط قال: «إن القرآن أنزل على سبعة أحرف».

سابعاً: أخرج الإمام أحمد بسنده عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو أن رجلاً قرأ آية من القرآن. فقال له عمرو: إنما هي كذا وكذا، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فأي ذلك قرأتم أصبتم فلا تماروا).

ثامناً: روى الطبري والطبراني عن زيد بن أرقم قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أقرأني ابن مسعود سورة أقرأنيها زيد بن ثابت، وأقرأنيها أبي بن كعب فاختلفت قراءتهم، فبقراءة أيهم آخذ؟ فسكت رسول الله ﷺ وعليّ إلى جنبه فقال علي: ليقرأ كل انسان منكم كما علم، فإنه حسن جميل.

تاسعاً: أخرج ابن جرير الطبري عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ولا حرج، ولكن لا تختموا ذكر رحمة بعذاب ولا ذكر عذاب برحمة» اهـ.

الحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف:

١ ـ التيسير على الأمة الإسلامية وخاصة الأمة العربية التي نزل عليها القرآن وكان لها لهجات متعددة على الرغم أنها تجمعها كلمة العروبة، نأخذ هذا من قوله ﷺ: «أنْ هوّنْ على أمتي» «وإنّ أمتي لا تطيق ذلك» وغيرها.

قال المحقق ابن الجزري:

« وأما سبب وروده على سبعة أحرف فللتخفيف على هذه الأمة، وإرادة اليسر بها، والتهوين عليها شرفاً لها، وتوسعة ورحمة وخصوصية لفضلها وإجابة لقصد نبيها أفضل الخلق وحبيب الحق، حيث أتاه جبريل فقال « إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف، فقال ﷺ أسأل الله معافاته ومعونته، فإن أمتي لا تطيق ذلك » ولم يزل يُردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف » ثم قال: وكما ثبت أن القرآن نزل من سبعة أبواب على سبعة أحرف، وأن الكتاب قبله كان ينزل من باب واحد على حرف واحد، وذلك أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يبعثون إلى قومهم الخاصين والنبي ﷺ بعث إلى جميع الخلق، أحمرهم وأسودهم، عربيهم وعجميهم، وكان العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، لغاتهم مختلفة، وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم الإنتقال من لغة إلى غيرها، أو من حرف إلى آخر، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولو بالتعليم والعلاج لا سيما الشيخ والمرأة، ومن لم يقرأ كتاباً كما أشار إليه ﷺ، فلو كلفوا العدول عن لغتهم، والانتقال عن ألسنتهم، لكان من التكليف بما لا يستطاع، وما عسى أن يتكلف المتكلف وتأبى الطباع » اهـ.

٢ ـ جمع الأمة الإسلامية على لسان واحد يوحد بينها هو لسان قريش الذي انتظم كثيراً من مختارات ألسنة القبائل العربية التي كانت تختلف إلى مكة في موسم الحج وغيره. ولذلك نزل القرآن على سبعة أحرف نصطفي ما شاء من لغات القبائل العربية التي تمثلت في لسان القرشيين وهذه حكمة إلهية سامية فإن وحدة اللسان العام من أهم العوامل في وحدة الأمة خصوصاً أول عهدها بالتوثب والنهوض.

معنى نزول القرآن على سبعة أحرف:

الأحرف: جمع حرف والحرف له معان كثيرة قال صاحب القاموس: (الحرف من كل شيء طرَفه، وشفيره وحده، ومن الجبل اعلاه المحدد، وواحد حروف التهجي، ومن الناس من يعبد الله على حرف، أي وجه واحد، وهو ان يعبد على السراء لا على الضراء، او على شك، او على غير طمأنينة من أمره، أي لا

يدخل في الدين متمكناً. «ونزل القرآن على سبعة أحرف» أي سبع لغات من لغات العرب. وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه إن جاء على سبعة أو عشرة أو أكثر. ولكن معناه أن هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن» ا هـ. بتصرف.

مما تقدم نرى أن الحرف من قبيل المشترك اللفظي، والمشترك اللفظي يراد به أحد معانيه التي تعينها القرائن وتناسب المقام.

فالمراد من لفظ الحرف أنه الوجه بدليل ما يأتي:

قوله ﷺ «أنزل القرآن على سبعة أحرف».

كلمة (على) تشير إلى أن هذا الشرط للتوسعة والتيسير. بمعنى: أنزل القرآن موسعاً فيه على القارىء أن يقرأه على سبعة أوجه، يقرأ بأي حرف أراد منها على البدل من صاحبه كأنه قال أنزل على هذا الشرط وعلى هذه التوسعة.

اختلاف العلماء في تفسير الأحرف الواردة في الحديث:

هنا يحتدم الجدال والنزاع، ويكثر القيل والقال. وسنذكر بعضاً من الآراء ونرجح ما نراه أقرب للصواب.

١ - ذهب بعض العلماء إلى أن المراد بها سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد. على معنى أنه حيث تختلف لغات العرب في التعبير في معنى من المعاني يأتي القرآن بألفاظ على قدر هذه اللغات وإذا لم يكن اختلاف فإنه يأتي بلفظ واحد وقيل: إن السبعة هي لغة (قريش) و (هذيل) و (ثقيف) و (هوازن) و (كنانة) و (تميم) و (اليمن).

٢ - وقيل إن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب نزل عليها القرآن، على معنى أنه في جملته لا يخرج في كلماته عن سبع لغات هي أفصح لغاتهم، فأكثر بلغة قريش، ومنه ما هو بلغة هذيل، أو ثقيف، أو هوازن، أو كنانة، أو تميم، أو اليمن.

قال بعضهم: هذا أصح الأقوال وأولاها بالصواب، وهو الذي صححه البيهقي، واختاره الأبهري واقتصر عليه صاحب القاموس.

٣ ـ إن المراد بالأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن، سبعة أصناف في القرآن.

ولكن أصحاب هذه الأقوال يختلفون في تعيين هذه الأصناف وفي أسلوب التعبير عنها اختلافاً كبيراً، فمنهم من يقول: (إنها أمر، ونهي، وحلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال).

ومنهم من يقول إنها (وعد، ووعيد، وحلال، وحرام، ومواعظ، وأمثال، واحتجاج).

ومنهم من يقول إنها: (محكم، ومتشابه، وناسخ، ومنسوخ، وخصوص، وعموم، وقصص)[1].

٤ ـ أن المراد بالأحرف السبعة أوجه من الألفاظ المختلفة في كلمة واحدة ومعنى واحد، نحو: هلُمّ، وأقبل، وتعال، وعجل، واسرع، وقصدي، ونحوي. فهذه الألفاظ السبعة معناها واحد هو طلب الإقبال.

وهذا القول منسوب لجمهور أهل الفقه والحديث منهم ابن جرير الطبري والطحاوي وغيرهما.

٥ ـ ان المراد بالأحرف السبعة الاختلاف في أمور سبعة:

أ ـ اختلاف الأسماء إفراداً وتذكيراً وفروعها.

مثاله قوله تعالى ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾[2] فكلمة (أماناتهم) قرئ بالجمع والإفراد.

ب ـ الاختلاف في تصريف الأفعال من مضارع وماض وأمر.

---

(١) انظر: مناهل العرفان، ص ١٧٦

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٨

مثاله قوله تعالى ﴿ربّنا باعدْ بين أسفارنا﴾[1] قرىء بنصب لفظ (ربنا) على أنه منادى وبلفظ (باعدْ) فعل أمر.

وقرىء «ربُّنا بَعَّدَ» برفع «ربُّ» على أنه مبتدأ وبلفظ «بعد» فعلاً ماضياً مضعف العين جملته خبر.

جـ - الاختلاف بالإبدال، سواء كان ابدال حرف بحرف كقوله تعالى ﴿وانظرْ إلى العظام كيفَ نُنشزها﴾[2] قرىء بالزاي وبالراء مع فتح النون.. وقوله سبحانه ﴿وطلح منضود﴾[3] قرىء (وطلع) فلا فرق في هذا بين الاسم والفعل أو ابدال لفظ بلفظ كقوله سبحانه ﴿كالعهن المنفوش﴾[4] قرأ ابن مسعود (كالصوف المنفوش).

د - اختلاف بالتقديم والتأخير إما في حرف كقوله تعالى ﴿أفلم ييأس﴾[5] قرىء (أفلم يأيس) وأما في الكلمة نحو (فيقتلون ويقتلون) قرىء بالبناء للفاعل في الأول وللمفعول في الثاني وقرىء بالعكس وكقوله سبحانه ﴿وجاءت سكرت الموت بالحق﴾[6] قرىء ﴿وجاءت سكرة الحق بالموت﴾.

هـ - اختلاف وجوه الإعراب كقوله سبحانه ﴿ما هذا بشراً﴾[7] قرأ ابن مسعود بالرفع وكقوله سبحانه ﴿ذو العرش المجيدُ﴾[8] برفع المجيد على أنه نعت كلمة ذو. وجرها على أنها صفة العرش.

---

(١) سورة سبأ، الآية: ١٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

(٣) سورة الواقعة، الآية: ٢٩.

(٤) سورة القارعة، الآية: ٥.

(٥) سورة الرعد، جزء من الآية: ٣١.

(٦) سورة ق، الآية: ١٩.

(٧) سورة يوسف، جزء من الآية: ٣١.

(٨) سورة البروج، الآية: ١٥.

و ـ الاختلاف بالزيادة والنقص كقوله تعالى ﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾ [1] قرىء (والذكر والأنثى) بحذف (ما خلق).

ز ـ اختلاف اللهجات بالتفخيم والترقيق والإمالة والإظهار والإدغام وهو كثير، ومنه الإمالة وعدمها في مثل قوله تعالى ﴿هل أتاك حديث موسى﴾ [2].

وهذا الرأي الأخير قد ذهب إليه الرازي وقاربه كل القرب مذهب ابن قتيبة وابن الجزري وابن الطيب وقد أخذ به الشيخ الزرقاني في كتابه مناهل العرفان) وأيّده ببعض الأدلة.

الترجيح:

وأقرب الوجوه إلى الصواب هو المذهب الأخير الذي اختاره الرازي، واعتمده الزرقاني في كتابه، مناهل العرفان، وأيده بأدلة منها:

١ ـ إن هذا المذهب هو الذي تؤيده الأحاديث المتقدمة.

٢ ـ أنه يعتمد على الاستقراء التام لاختلاف القراءات وما ترجع إليه من الوجوه السبعة.

٣ ـ ان هذا الرأي لا يلزمه محذور.

والآراء في (الأحرف السبعة) كاملة تجدها في كتاب «مناهل العرفان» للزرقاني وفيها توهين المذاهب الأخرى والرد عليها في ص ١٦٥ الى ١٧٧.

ونحن ننقل خلاصة هذا المذهب من كلام أبي الفضل الرازي في اللوائح حيث يقول: الكلام لا يخرج عن سبعة أحرف في الأختلاف.

الأول: اختلاف الأسماء من إفراد، وتثنية، وجمع، وتذكير، وتأنيث.

---

(١) سورة الليل، الآية: ٣.

(٢) سورة النازعات، الآية: ١٥.

الثاني: اختلاف تصريف الأفعال، من ماضٍ، ومضارع، وأمر.

الثالث: اختلاف وجوه الإعراب.

الرابع: الاختلاف بالنقص والزيادة.

الخامس: الاختلاف بالتقديم والتأخير.

السادس: الاختلاف بالإبدال.

السابع: اختلاف اللغات (يعني اللهجات) كالفتح والإمالة، والترقيق والتفخيم، والإظهار والإدغام ونحو ذلك. أهـ.

هل الأحرف السبعة موجودة في المصاحف الآن:

١ ـ ذهب جماعة من الفقهاء والقراء والمتكلمين إلى أن جميع هذه الأحرف موجودة بالمصاحف العثمانية.

حجتهم:

ا ـ أنه لا يجوز للأمة أن تهمل نقل شيء منها.

ب ـ أن الصحابة أجمعوا على أن الصحف التي نقلها عثمان رضي الله عنه من الصحف التي كتبها أبو بكر رضي الله عنه.

جـ ـ معنى ما تقدم أن الصحف التي عند أبي بكر قد جمعت الأحرف السبعة، ونقلت منها المصاحف العثمانية بالأحرف السبعة كذلك.

د ـ قول النبي ﷺ (إن أمتي لا تطيق ذلك) لا يختص بعهد الصحابة دون غيرهم. وبقاء تيسير القرآن مع بقاء إعجازه.

٢ ـ ذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أن المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط، جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي ﷺ على جبريل.

٣ ـ ذهب ابن جرير الطبري ومن معه إلى أن المصاحف العثمانية لم تشتمل إلا على حرف واحد من الحروف السبعة.

وقالوا: ان الأحرف السبعة كانت أيام الرسول عليه الصلاة والسلام وأبي بكر وعمر فلما كان عهد عثمان رأت الأمة بقيادته ان تقتصر على حرف واحد جمعاً لكلمة المسلمين. ونسخ عثمان بهذا الحرف الذي استبقته الأمة وحده جميع المصاحف العثمانية.

قال الزرقاني في «مناهل العرفان» ص٦٦٢ ما نصه (ونحن إذا رجعنا بهذه الأوجه السبعة إلى المصاحف العثمانية وما هو مخطوط بها في الواقع ونفس الأمر، نخرج بهذه الحقيقة التي لا تقبل النقض، ونصل إلى فصل الخطاب في هذا الباب، وهو ان المصاحف العثمانية قد اشتملت على الأحرف السبعة كلها، ولكن على معنى أن كل واحد من هذه المصاحف اشتمل على ما يوافق رسمه من هذه الأحرف كلاً أو بعضاً، بحيث لم تخل المصاحف في مجموعها عن حرف منها رأساً).

وقد بيّن ووضّح الشيخ الزرقاني وجود الأوجه السبعة على مذهبه المختار وإن الأوجه السبعة موجودة الآن في المصاحف العثمانية وسأكتفي بذكر مثال من أمثلته غير أن بعض الوجوه السبعة ذكر أنه منسوخة بالعرض الأخيرة.

مثاله قوله تعالى ﴿والذين هُم لأماناتهم وعَهْدِهم راعُون﴾[1] المقروءة بجمع الأمانة وإفرادها فقد اشتمل عليها المصحف إذ كان الرسم العثماني فيه هكذا:

«لأمنتهم» برسم المفرد في الحروف ولكن عليها ألف صغيرة لتشير إلى قراءة الجمع وغير منقوطة ولا مشكولة[2].

مناقشة مذهب الطبري:

قال الطبري أن الأحرف الستة نسخت باجماع الأمة في عهد عثمان رضي الله عنه

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٨.

(٢) أنظر، مناهل العرفان، ص١٦٢

وبقي حرف واحد حفاظاً لوحدة الأمة الإسلامية من التفرق حين كفّر بعضهم بعضاً بسبب اختلاف القراءات وخيفت الفتنة، فلم تجد الأمة حلاً لهذه المشكلة إلا جمع الأمة على قراءة حرف واحد.

الرد عليه:

١ ـ الصحابة رضوان الله عليهم اختلفوا في القراءة في عهد رسول الله وكادت أن تقع فتنة كما قلتم فكيف حلّ الرسول عليه السلام هذه المشكلة؟.

إنما كان حله الوحيد إقرار كل من المختلفين على القراءة التي قرأ بها وأفهمهم أن تعدد وجوه القراءة هو رحمة من الله بهم وتيسير عليهم: كما دلت عليه الأحاديث المتقدمة.

٢ ـ وقال في الحديث (إن أمتي لا تطيق ذلك) وأمته باقية إلى يوم القيامة. كما نشاهد نحن الآن أنّ بعض الشعوب الإسلامية لا يتيسر لها النطق ببعض الحروف ولا تحسن اتقان بعض اللهجات دون بعض.

٣ ـ بعد ما عرفنا ما تقدم نقول كيف يسوغ لصحابة رسول الله عليهم من الله الرضوان، وعلى رأسهم عثمان بن عفان اغلاق باب الرحمة والتخفيف الذي فتحه الله لأمة الإسلام، مخالفين الرسول عليه الصلاة والسلام في علاجه للنزاع الذي حصل بين الصحابة بتقرير هذا التعدد للحروف.

٤ ـ إننا نربأ باصحاب رسول الله ﷺ أن يكونوا قد وافقوا أو فكروا على ضياع ستة أحرف من القرآن الكريم، وهي لم تنسخ لا تلاوة ولا حكماً، ولم يكونوا ليخالفوا الرسول في قوله وعمله.

٥ ـ لو كانت هذه الأحرف نسخت في عهد عثمان رضي الله عنه لم يبق مجال لأختلاف العلماء فيها ولكننا نجدهم اختلفوا فيها على نحو من أربعين قولاً.

٦ ـ لو فرضنا جدلاً أن الأحرف الستة نسخت في عهد عثمان فلماذا لا تبقى

لمجرد التاريخ فقط في أعظم كتاب مقدس مع أن الصحابة بينوا الآيات المنسوخة تلاوة أو حكماً وكذلك الآيات المنسوخة والأحاديث الموضوعة وبينوا لكل وجهته.

٧ ـ وقصارى القول ان الصحابة رضي الله عنهم لم يرضوا بمخالفة رسول الله في قوله أو فعله ولم يكن لهم التبديل ونسخ ما لم ينسخ من كتاب الله وحاشاهم ان يقدموا على مثل هذا الفعل رضي الله عنهم وأرضاهم.

بعض الشبهات الواردة على الموضوع والرد عليها

الشبهة الأولى:

يقولون: ان المراد بالأحرف السبعة هي القراءات السبع المنقولة عن الائمة السبعة المعروفين عند القراء.

الرد عليهم:

قولكم هذا باطل من وجوه:

١ ـ إن قول الرسول ﷺ (ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف) يكون عارياً من الفائدة على قولكم حتى يولد الائمة السبعة مع أن قولكم غير صحيح، لان الرسول ﷺ قرأ بها وصحابته وتابعيه قبل ميلاد القراء.

قال المحقق ابن الجزري (فلو كان الحديث منصرفاً الى قراءات السبعة المشهورين او سبعة غيرهم من القراء الذين ولدوا بعد التابعين، لأدى ذلك إلى ان يكون الخبر عارياً عن الفائدة إلى ان يولد هؤلاء السبعة، فتؤخذ عنهم القراءة، وأدى أيضاً إلى انه لا يجوز لاحد من الصحابة ان يقرأ إلا بما يعلم ان هؤلاء السبعة من القراء إذا ولدوا وتعلموا، اختاروا القراءة به وهذا باطل إذ طريق أخذ القراءة ان تؤخذ عن امام، ثقة لفظاً عن لفظ إماماً عن إمام إلى ان يتصل بالنبي ﷺ) أهـ.

٢ ـ ان الأحرف السبعة أعم من القراءات السبع عموماً مطلقاً لأن الأحرف

السبعة تشمل القراءات التي قرأ بها الرسول ﷺ وتشمل أيضاً ما وصل الى هؤلاء القراء السبعة وما نسخ قبل ان يصل اليهم وتنتظم جميع القراءات صحيحها ومنكرها وشاذها فما دام أن الاحرف اعم من القراءات فلا تكون هي نفس القراءات.

٣ ـ من المحال عقلاً أن يفرض الرسول عليه السلام قراءة القرآن على صحابته بقراءة القراء الذين لم يخلقوا بعد، وهذا الرأي باطل.

الشبهة الثانية:

يقولون: ان أحاديث نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف تثبت الاختلاف مع ان القرآن نفسه ينفي الاختلاف بقوله تعالى ﴿**أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً**﴾[1]. وذلك تناقض ولا ندري أيها الصادق.

الجواب:

ان الاختلاف الذي تثبته الأحاديث غير الذي ينفيه القرآن وعلى هذا كلاهما صادق. إذ ان الاختلاف الذي تثبته الأحاديث فيما يتعلق بطرق الأداء والنطق بألفاظ القرآن في دائرة محدودة لا تعدو سبعة أحرف، وبشرط التلقي فيها كلها عن النبي ﷺ.

فعلى هذا يكون الاختلاف في الأحاديث بمعنى: التنويع اما القرآن فينفي التناقض بين أحكامه ومعانيه وتعاليمه مع ثبوت التنويع في التلفظ والأداء[2].

والحاصل:

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة: وهذا المجموع في المصحف: هل هو جميع

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٢) نقلاً عن مناهل العرفان ص ١٧٩ بتصرف.

الأحرف السبعة التي اقيمت القراءة عليها؟ أو حرف واحد فيها؟ قال القاضي أبو بكر إنه جميعها، وصرح أبو جعفر الطبري والأكثرون من بعده بأنه حرف منها، ومال الشيخ الشاطبي إلى قول القاضي فيما جمعه أبو بكر، وإلى قول الطبري فيما جمعه عثمان رضي الله عنه.

قال الزركشي في البرهان:

قال بعض المتأخرين: القراءات السبع التي قرأها القراء السبعة كلها صحت عن رسول الله ﷺ، وهو الذي جمع عليه عثمان رضي الله عنه المصحف، وهذه القراءات السبع اختيارات أولئك القراء، فإن كلّ واحد منهم اختار فيما روى وعلم وجهةً من القراءة ما هو الأحسن عنه، ولزم طريقة منها ورواها وقرأ بها، واشتهرت عنه ونسبت اليه، فقيل حرف نافع وحرف ابن كثير، ولم يمنع واحد منهم حرف الآخر ولا أنكره بل سوّغه وحسّنه..

إلى ان قال: وقد أجمع المسلمون في هذه الأعصار على الاعتماد على ما صح عنهم، وكان الانزال على الأحرف السبعة توسعة من الله ورحمة للأمة، إذ لو كلف كل فريق منهم ترك لغته والعدول عن عادة نشئوا عليها، من الإمالة والهمز، والتليين، والمد، وغيره لشق عليهم.

القراءات المشهورة

في نهاية البحث نرى لزاماً علينا ان نتكلم على نبذة مختصرة عن القراءات وكيف نشأت؟ ومن هم القراء المشهورون؟

تعريف القراءات:

القراءات جمع قراءة: مصدر قرأ يقرأ قراءة. واصطلاحاً: مذهب من مذاهب النطق في القرآن يذهب به إمام من الأئمة القراء مذهبا يخالف غيره في النطق بالقرآن الكريم وهي ثابتة بأسانيدها إلى رسول الله ﷺ.

هل كان في عهد الصحابة قراء؟

نعم يرجع عهد القراء الذين اقاموا الناس على طرائقهم في التلاوة الى عهد الصحابة الكرام.

فقد اشتهر بالإقراء منهم: أبي، وعلي، وزيد بن ثابت، وابن مسعود وأبو موسى الاشعري وغيرهم.

وعن هؤلاء اخذ كثير من الصحابة والتابعين في الأمصار وكلهم يسند إلى رسول الله ﷺ الى ان جاء عهد التابعين في المائة الاولى فتجرد قوم واعتنوا بضبط القراءة عناية تامة حين دعت الحاجة الى ذلك وجعلوها علماً كما فعلوا بعلوم الشريعة الأخرى.

ونعود ونقول كيف نشأت القراءات:

عرفنا آنفاً ان عهد القراء من عهد الصحابة الى عهد التابعين، وان المعول عليه في القرآن الكريم إنما هو التلقي والأخذ ثقة عن ثقة وإماماً عن إمام الى النبي ﷺ. وكانت المصاحف غير منقوطة ولا مشكولة. وأن صورة الكلمة فيها كانت محتملة لكل ما يمكن من وجوه القراءات المختلفة، واذا لم تحتملها كتبت الكلمة بأحد الوجوه في مصحف، ثم كتبت في مصحف آخر بوجه آخر وهلم جراً.

فلا غرو ان كان التعويل على الرواية والتلقي هو العمدة في باب القراءة والقرآن.

ثم ان الصحابة رضوان الله عليهم قد اختلف اخذهم عن رسول الله ﷺ فمنهم من قرأ بحرف ومنهم من أخذه عنه بحرفين، ومنهم من زاد، ثم تفرقوا في البلاد وهم على هذه الحال.

وكان عثمان رضي الله عنه حين بعث المصاحف الى الآفاق ارسل مع كل مصحف من يوافق قراءته في الأكثر الغالب، وعند تفرق الصحابة في البلدان مع اختلافهم في القراءات نقل ذلك عنهم التابعون ومن تبعهم واختلف بسبب ذلك اخذ التابعين حتى

وصل الامر على هذا النحو الى الأئمة القراء المشهورين الذين تخصصوا وانقطعوا للقراءات يضبطونها ويعنون بها وينشرونها.

هذا منشأ علم القراءات واختلافها وإن كان هذا الاختلاف يرجع في الواقع إلى امور يسيرة بالنسبة لمواضع الاتفاق الكثيرة كما هو معلوم وهذا الاختلاف في حدود الاحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم كلها من عند الله.

ويحسن في هذا المقام ان ننقل ما كتبه الشيخ الزرقاني في كتابه «مناهل العرفان» وقد نقله من كتاب للنويري مخطوط بدار الكتب المصرية وضعه شرحاً للطيبة في القراءات.

قال: (والاعتماد في نقل القرآن على الحفاظ، ولذلك ارسل (أي عثمان رضي الله عنه) كل مصحف مع من يوافق قراءته في الاكثر وليس بلازم. وقرأ كل مصر بما في مصحفهم، وتلقوا ما فيه من الصحابة الذين تلقوه عن النبي ﷺ. ثم تجرد للأخذ عن هؤلاء قوم اسهروا ليلهم في ضبطها، وانعبوا نهارهم في نقلها، حتى صاروا في ذلك أئمة للاقتداء، وأنجماً للاهتداء، وأجمع اهل بلدهم على قبول قراءتهم، ولم يختلف عليهم اثنان في صحة روايتهم ودرايتهم، ولتصدّيهم للقراءة نسبت اليهم، وكان المعول فيها عليهم.

«ثم ان القراء بعد هؤلاء كثروا، وفي البلاد انتشروا وخلفهم امم بعد امم، وعرفت طبقاتهم، واختلفت صفاتهم، فكان منهم المتقن للتلاوة، المشهورة بالرواية والدراية، ومنهم المحصل لوصف واحد، ومنهم المحصل لاكثر من واحد فكثر بينهم لذلك الاختلاف وقلّ منهم الإئتلاف.

فقام عند ذلك جهابذة الائمة، وصناديد الأمة فبالغوا في الاجتهاد بقدر الحاصل، وميزوا بين الصحيح والباطل، وجمعوا الحروف والقراءات، وعزوا الاوجه والروايات، وبينوا الصحيح والشاذ، والكثير والفاذ بأصول اصّلوها وأركان فصّلوها[1].. الخ».

---

(١) انظر مناهل العرفان ج ١ ص ٤٠٧

عدد القراءات وانواعها

ذكر صاحب كتاب (الإتقان) ان القراءات، متواترة، ومشهورة، وآحاد، وشاذ، وموضوع، ومدرج.

قال القاضي جلال الدين البلقيني: القراءة تنقسم الى متواتر وآحاد وشاذ: فالمتواتر القراءات السبع المشهورة.

والآحاد قراءة الثلاثة التي هي تمام العشر ويلحق بها قراءة الصحابة.

والشاذ قراءة التابعين كالأعمش ويحيى بن وثاب، وابن جبير ونحوهم.

قال السيوطي هذا الكلام فيه نظر وأحسن من تكلم في هذا النوع إمام القراء في زمانه الشيخ ابو الخير بن الجزري قال في اول كتابه «النشر»: كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت احد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل انكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة ام عن غيرهم من الائمة المقبولين ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة اطلق عليها شاذه او باطله سواء كانت عن السبعة ام عمن هو اكبر منهم، هذا هو الصحيح عند ائمة التحقيق من السلف والخلف[1].

قال صاحب الطيبة في ضابط قبول القراءات:

وكلّ ما وافق وجه النحو
وكان للرسم احتمالاً يحوي
وصح اسناداً، هو القرآن
فهذه الثلاثة الاركانُ
وحيثما يختل ركن أثبتِ
شذوذه لو أنه في السبعةِ

---

(١) أنظر مناهل العرفان، ج ١ ص ٤٠٩.

والقراءات: قيل: القراءات السبع، القراءات العشر، والقراءات الأربع عشرة، وأحظى الجميع بالشهرة، ونباهة الشأن، القراءات السبع.

وتنسب هذه القراءات الى الائمة السبعة المعروفين وهم: نافع، وعاصم، وحمزة، وعبد الله بن عامر، وعبد الله بن كثير، وأبو عمرو بن العلاء، وعلي الكسائي.

والقراءات العشر هذه السبعة وزيادة قراءة: لأبي جعفر، ويعقوب، وخلف.

والقراءات الأربع عشرة، بزيادة أربع على قراءات هؤلاء العشرة وهي: قراءة الحسن البصري، وابن محيص، ويحيى اليزيدي، والشنبوذي.

أول من صنّف في القراءات:

علم القراءات أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً.

واول من صنف في القراءات امثال ابي عبيد القاسم بن سلاّم، وأبي حاتم السجستاني، وأبي جعفر الطبري، واسماعيل القاضي.

متى اشتهرت قراءة السبعة؟

اشتهرت قراءة السبعة على رأس المائتين في الأمصار الإسلامية.

فكان الناس في البصرة على قراءة (أبي عمرو) و (يعقوب)، وبالكوفة على قراءة (حمزة) و (عاصم).

وبالشام على قراءة (ابن عامر).

وبمكة على قراءة (ابن كثير).

وبالمدينة على قراءة (نافع).

متى دونت القراءات؟

دونت في نهاية القرن الثالث ببغداد على يد الإمام ابن مجاهد أحمد بن موسى بن عباس فجمع قراءات هؤلاء السبعة غير أنه اثبت اسم الكسائي وحذف يعقوب.

طريقته:

كان آخذاً على نفسه ألا يروي إلا عمن اشتهر بالضبط، والأمانة، وطول العمر في ملازمة القراءة، واتفاق الآراء على الأخذ عنه والتلقي منه.

واقتصار ابن مجاهد على هؤلاء السبعة، ليس بحاصر للقراء فيهم، ولا يلزم أحداً أن يقف عند حدود قراءتهم.

القراء السبعة المشهورون

القراءات المتواترة نقلت لنا عن القراء الحفظة، المشهورين بالحفظ والضبط والإتقان. وهم أئمة القراءات المشهورة، الذين نقلوا لنا قراءة الصحابة عن رسول الله ﷺ وكان لهم فضل العلم والتعليم، لكتاب الله العظيم كما قال صلوات الله وسلامه عليه (خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه) وقد جمع الشيخ ابو البسر عابدين هؤلاء القراء في بيتين من الشعر فقال:

« فنافع، وابن كثير، وعاصم
وحمزة، ثمّ أبو عمْرو همو »
« مع ابن عامر أتى الكسائي
ائمة البيع بلا امتراء »

القُرّاء السبعة:

١ ـ ابن عامر: اسمه عبد الله اليحصبي قاضي دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك، ويكنى أبا عمران، وهو تابعي، وقد أخذ القراءة عن المغيرة بن أبي شهاب المخزومي، عن عثمان بن عفان، عن رسول الله ﷺ توفي بدمشق سنة ثماني عشر ومائة، وقد اشتهر برواية قراءته هشام وابن ذكوان.

قال فيهم صاحب الشاطبية:

« وأما دمشق الشام دار بن عامر
فتلك بعبد الله طابت محللا

هشـــام وعبـــد الله وهـــو انتـــابـــه
لذكـــوان بالاســـناد عنـــه تنقـــلا

٢ ـ ابن كثير: هو ابو محمد، عبد الله بن كثير الداري المكي كان إمام الناس في القراءة بمكة، وهو تابعي لقي من الصحابة عبد الله بن الزبير، وأبا أيوب الأنصاري وأنس بن مالك وتوفي بمكة سنة مائة وعشرين.

وراوياه: البزي (ت ٢٥٠) وقنبل (ت ٢٩١ هـ).

قال فيهم صاحب الشاطبية:

ومكـــة عبـــد الله فيهـــا مقـــامـــه
هـــو ابـن كثيـر كـاثـر القـوم مُعْتـــلا
روى أحـــمـــد البـــزي لـــه ومحـــمـــد
علـــى سنـــد وهـــو الملقـــب قنبـــلا

٣ ـ عاصم الكوفي: هو عاصم بن أبي النجود الأسدي، ويقال له: ابن بهدلة، ويكنى أبا بكر، وهو تابعي.

توفي بالكوفة سنة ١٢٧ او ١٢٨ هـ وراوياه شعبة (ت ١٩٣ هـ) وحفص (ت ١٨٠ هـ).

يقول فيهم صاحب الشاطبية:

وبـــالكـــوفـــة الغـــراء منهـــم ثلاثـــة
أذاعـــوا فقـــد ضاعـــت شـــذى وقـرنفـلا
فـــأمـــا أبـــو بكـــر وعـــاصم اسمـــه
فشعبـــة راويـــه المبـــرز أفضـــلا
وذاك بـــن عيـــاش أبـــو بكـــر الرضـــا
وحفـــص وبالاتقـــان كـــان مفضـــلا

٤ ـ ابو عمرو: هو ابو عمرو زبّان بن العلا بن عمار البصري شيخ الرواة وقيل اسمه يحيى، وقيل اسمه كنيته، توفي بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة. وراوياه:

الدوري (ت ٢٤٦ هـ) والسوسي (ت ٢٦١ هـ).

قال صاحب الشاطبية:

وأمـــا الإمـــام المـازني صريحهـــم
أبـــو عمـــرو البصـــري فوالـــده العـلا
أفـــاض على يحيـي اليـــزيـــدي سيبـــه
فأصبـــح بالعـــذب الفـــرات معلـــلا
أبـــو عمـــرو الدوري صـــالحهـــم أبـــر
شعيـــب هـــو الســـوســـي عنـــه تقبـــلا

٥ ـ حمزة الكوفي: هو حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات الفرضي التيمي مولى عكرمة بن ربيع التيمي ويكنى أبا عمارة توفي بحلوان في خلافة أبي جعفر المنصور سنة ١٥٦ هـ وراوياه: خلف (ت ٢٢٩) وخلاد (ت ٢٢٠ هـ) بواسطة سليم.

قال صاحب الشاطبية:

وحمزة مـــا أزكـــاه مـــن متـــورّع
إمـــامـــاً صـــبـــوراً للقـــرآن مـــرتلا
روى خلـــفٌ عنـــه وخـــلاد الـــذي
رواه سليـــم متقنـــاً ومحصـــلا

٦ ـ نافع: هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي أصله من اصفهان، وانتهت اليه رئاسة الاقراء بالمدينة المنورة وتوفي بها سنة ١٦٩، وراوياه: قالون (ت ٢٢٠) وورش[1] (ت ١٩٧).

يقول صاحب الشاطبية:

فـــأمـــا الكـــريم الـــر في الطيـــب نـــافـــع
فـــذاك الذي اختـــار المدينـــة منـــزلا

---

(١) قالون: معناه الجيد في أصل وضعها. وورش: لشدة بياضه.

وقالون عيسى، ثم عثمان ورشهم
بصحبة المجد الرفيع تأنلا

٧ ـ الكسائي: هو علي بن حمزة إمام النحاة الكوفيين، ويكنى ابا الحسن وقيل له الكسائي لأنه كان في الإحرام لابسا كساء، توفي (برنبوية) قرية من قرى الري حين توجه الى خراسان مع الرشيد سنة ١٨٩، وراوياه أبو الحارث (ت ٢٤٢) والدوري (ت ٢٤٦).

يقول صاحب الشاطبية:

وأما علي فالكسائي نعته
لما كان في الإحرام فيه تسربلا
روى ليثهم عنه أبو الحارث الرضا
وحفص هو الدوري وفي الذكر قد خلا